

عِلْمٌ قَبْرٌ طَالِبُ الْعِلْمِ

بِرَبِّهِ وَعِلْمٌ قَبْرٌ بِالنَّاسِ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ / مُطْلَقُ الْجَائِزِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمةً
للعالمين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم
الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم علّمنا ما ينفعنا، وارفعنا وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً واغفر لنا يا رب
العالمين.

أما بعد ...

﴿ **طالب العلم والعبادة؛** علاقة يجب أن تُستوعب بشكلٍ صحيح، لا شك ولا
ريب أن الجميع يعلم أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خلقنا لأجل عبادته؛ كما قال ربنا
-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦].

﴿ فالمعنى الَّذِي خُلِقْنَا مِنْ أَجْلِهِ: تحقيق العبادة لله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ لأجل هذا المعنى أمرنا بطلب العلم، فصار إذا طلب العلم طريقاً لتحقيق المقصود وهو العبادة، وهو أيضاً في نفس الوقت جزء من هذه العبادة، طلب العلم من أجل العبادات.

﴿ أين يأتي الخلل؟

الخلل يأتي من الانفصام بين مفهوم طلب العلم ومفهوم العبادة، أو جعل طلب العلم يسيراً في خط مختلف تماماً عما يُراد له وما يُراد به؛ **وذلك أن المسلم بشكلٍ**

عام عبادته لله - عِزَّ وَجَلَّ - لا تخلو من نوعين:

١- إمّا أن تكون عبادةً ظاهرة.

٢- أو تكون عبادةً خفية.

العبادات نوعين أو إحدى تقسيمات العبادات تنقسم إلى نوعين، هناك تقسيمات

أخرى تنقسم العبادة إلى:

☀ قاصر.

☀ ومتعدية.

وهناك عبادات مفروضة وعبادات مستحبة، إلى آخر التقسيمات، وفي من

التقسيمات أن يُقال:

العبادات ظاهرة؛ أي: يراها الناس.

وهناك عبادات خفية؛ لا يطلع عليها أحد.

✍ **العبادات الخفية:** أقرب وأحبُّ إلى الله وأسلم من العبادات الظاهرة؛ لأنَّ

كل عبادة تكتنفها آفات، بمعنى: مخاطر، هذه المخاطر إذا سَلِمَت منها العبادة

صَحَّت.

* من أخطر هذه المخاطر: أن يُراد بالعبادة غير وجه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛
فلكي نتجنب هذه العقبة وهذه المخاطر نقول: عبادة السر أءمن وأسلم؛ لأنها
تسحب البساط، أو تفوت الفرصة على النفس أن تُرائي بالعبادة، بهذا تكون
العبادة بينك وبين الله، كيف سترائي؟!!

أنا ما أقول: سَلِمْتَ من كل الآفات، فهناك آفات أخرى؛ هناك آفة العُجب،
هناك آفة التسميع، التسميع غير الرياء.

👉 ما الفرق بين التسميع والرياء؟

الرياء أنني أُرِي الناس عملي، والتسميع أنني أسمعهم، ما شفوني حصافة لا
بقول، ترى أنا سويت، ترى أنا فعلت، فَيُسْمِعُ؛ أي: سَمِعَ الناس، فالعبادات
الخفية سَلِمْتَ من آفة الرياء، ولكن بقي عدة آفات، وهي آفة التسميع، آفة
العُجب، آفة الركون إلى العمل وعدم مراعاة متابعة العمل مثلاً.

فروعاً العبادة الخفية والظاهرة لا بد منها، هناك من العبادات ما لا تكون إلا ظاهرة، **مثل**: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كيف تريد تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر دون أن تُظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

✽ منها: طلب العلم وتعليم العلم، أيضاً هذه عبادة من العبادات ولا تخلو من ظهور، تريد تعلم الناس الخير، هل تقدر تعلم الناس الخير مع إخفاء نفسك تماماً؟ ما تقدر، كيف ستتكمم؟ كيف ستصح؟ كيف ستدعو؟!

✽ **إذا نحن أمام هذين النوعين من العبادات يجب أن نراعي الآتي:**

✽ **أولاً:** نُكثِر من عبادات السر قدر ما نقدر، ونجتهد فيها.

📖 قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا

وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]، فقدر ما تقدر إن استطعت أن

تخفي عملك الصالح حيث تستطيع ذلك فافعل وأكثر؛ لأن هذا الجانب من

العلاقة مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- جانب مأمون بشكل كبير من غوائل وآفات

العمل، زائد له أثر في إصلاحك.

غير أنه مأمون وأنه - إن شاء الله - في حيز العبادات المقبولة، أيضًا له أثر عليك في إصلاحك، والعلاقة بينك وبين الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - حيث لا يراك أحد، ولا يطلع عليك أحد إلا الله، لا شك أنها تنعكس عليك في إصلاحك أنت وإصلاح قلبك؛ فنكثر من هذا.

بما النوع الثاني: العبادات الظاهرة، كيف نتصرف معها التي من ضمنها طلب العلم؟

✽ **أولاً:** أن نحرص فيها على النية ونتعهد نيتنا باستمرار، وأن نجدد نيتنا باستمرار، وأن لا أترك المجال لنفسي دون تعاهد، وخليها كأني ضامن القبول، وكأني ضامن العمل.

✽ **ثانياً:** أن أحرص في دعائي وأكثف في دعائي أن يخلص الله نيتي، ويكثر من قول النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَيَمَنْ خَشِيَ الرِّيَاءَ، النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أمرنا بأن ندعو بـ **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»**، أكثر من هذا.

أكثر من الدعاء أن يخلص الله نيتي، اللهم أخلص نيتي، اللهم أجعل عملي خالصًا لوجهك الكريم، اللهم أجعل عملي خالصًا لك، اللهم أجعل عملي في رضاك إلى آخره، هذا واحد.

٢- أن أبعد نفسي عن أي تأثر بانطباعات الآخرين، أن أوطن نفسي على ذلك؛ لأنك إذا عملت عمل طبعًا اجتهدت فيه، **وأخلصت نيتك لله - مثلما اتفقنا قبل**

قليل:-

☀ **أولاً:** وجاهدت نفسك أن تُخلص نيتك لله، هذا واحد.

☀ **ثانيًا:** تجتهد أن يكون العمل صوابًا، وأن يكون في رضا الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ، وهذه النقطة تجاوزناها لوضوحها.

◆ نحن نتكلم عن العبادات، وبالتالي تكون العبادة حققت فيها هذين الأمرين:

١- نيتي.

٢- صواب عملي.

حققت هذين الأمرين لا يهملك أحد، وَطِنَ نَفْسِكَ عَلَى ذَلِكَ، اعمل العمل الَّذِي نحن قلنا من شأنه ومن طبيعته أَنْ يَكُونَ ظَاهِرًا، مثل: الدعوة إلى الله، تريد تنصح، سواء كانت نصيحة عامة للناس أو نصيحة خاصة، تحقق هاتين

الخصلتين:

١- الإخلاص.

٢- والمتابعة.

ثم تُقَدِّم على العمل؛ سيظهر من هذا العمل نوعان من الآثار، نتكلم على الناس:

✽ النوع الأول: مشنون شاكرون.

✽ والنوع الثاني: ناقدون ناقمون.

طبيعة الحال في الغالب ما تخلو إذا أقدمت على العمل؛ سيظهر لك نوعان من

الناس بدرجات متفاوتة:

✽ النوع الأول: مثنون شاكرون؛ جزاك الله خير، بيض الله وجهك، ما شاء الله عليك، كفو، إلى آخره.

✽ والنوع الثاني: منتقدون ناقمون؛ على تفاوت أيضًا في درجاتهم، أنت لماذا فعلت هذا؟ أنت غلطان، أنت مفروض، أنت كذا، أنت كذا، على حسب عاد نوع هذا الانتقاد؛ بعضه منطقي وبعضه غير منطقي، المهم أن يكون في انتقاد.

👉 كيف نتصرف أمام هذين النوعين من الآثار؟ كيف أنجو من غوائل هذين النوعين؟

ترى كلاهما مؤثر، كلاهما له تأثير.

❖ **أما النوع الأول:** وهو نوع المادحين المثيين لا أعلق قلبي بهم، ولا أجعل كلامهم يؤثر في قصدي ونيتي، بل أخاف من كلامهم المفروض، ما أركن، فضلاً عن أني أدور كلام، أدور ثناءات، أدور مدح، لا، المفروض أني أخاف، نعم سُئِلَ النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الرجل يعمل العمل الصالح مما يُبتغى به وجه الله، فيثني عليه الناس، فقال النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»؛ هذا شيء طيب.

وقد قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) هُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

❖ **البُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنْوَاع:**

☀ **منها:** الرؤية الصالحة، لم يبقَ من النبوة إلا المَبْشَرَات.

☀ **ومنها:** ثناء الناس.

فأقف عند هذا الثناء على الحدِّ الَّذِي لا يؤثر عليّ، ولا أجعل كلامهم مؤثراً عليّ؛
بحيث كيف يعني؟

﴿ما هو المقياس؟ المقياس أن إذا ما أحد مدحك تزعل، تصل إلى مرحلة تقول:
لماذا ما شكرني فلان؟! لماذا ما أثنوا؟! لماذا ما تكلموا؟! إذا وصلت إلى هذا
الإحساس وقف، هذا مؤشر خطير، لازم تعالج نفسك فيه.

هناك مؤشرات مثل مؤشرات الأمراض الَّتِي يسمونها أعراض، عند الطبيب في
أعراض، الطبيب يسألك كم سؤال، تحس أين الألم هنا أم هنا؟ تحس بكذا؟ فكل
واحد له دلالة، ففي عرض وفي مرض، في ألم هذا عرض، المرض شوف عاد شنو
جرثومة في المعدة كذا إلى آخره، دودة زائدة، فالعرض غير المرض.

فمن الأعراض الَّتِي يجب أن يُنبته لها: أني أقف عند ثناء الناس، طبعاً لا شك أن
الإنسان طبيعة البشرية يفرح بثناء الناس، ما أحد يقول: والله المفروض ما تفرح،
لا، حديث النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ».

فالممنوع أو المحذور ليس الفرح وإنما الركون؛ بحيث إذا سويت شيء مثلاً ما أحد مدحك، تحس أن في شيء غلط، أو تحس أنك أنت متضايق؛ لأن ما أحد مدحك، لا، هذا عرض، وقف، روح عالج قلبك، لماذا؟ لأن أنت من المفترض أن تتعامل مع الله لا مع الناس، وهذه قاعدة عامة -يا إخواني- في الحياة كلها، تريد الراحة والانشراح اجعل كل تعاملاتك مع الله والناس مجرد بنود في هذا التعامل.

بمعنى: أنت الآن حتى في علاقاتك مع الناس، مثلاً: صديق وصديقه أصدقاء اثنين عامله لا لذاته، وإنما عامل ربك -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فيه، بمعنى: اتق الله -عَزَّ وَجَلَّ- فيه في هذا الصديق، أو الزوج يتقي الله في زوجته، والأب يتقي الله في ابنه.

لله ما الفرق بين أقول إني أنا تعاملي مع الله فيك، أو أنا تعاملي معك؟

إذا تعاملت مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فيك، أي: انت بند من البنود؛ وبالتالي إذا خُذِلْتُ منك، أو بدر منك شيء مثلاً يَنْمُ على عدم الوفاء، مثلاً: كنت قدمت وسويت وعطيت، والطرف الآخر ما كافأ هذا العطاء بما يستحقه في نظرك، إذا كان تعاملك مع الله ما راح يؤثر عليك هذا؛ لأنك أنت تتعامل مع الله -عِزَّ وَجَلَّ-.

لكن لو كان تعاملك مع هذا الشخص، لو كان تعاملك مع هذا الشخص، ثم صدر منه ما يدل على الخذلان، وستنهار وستزعل وستقول له كلام: أنا الَّذِي سويت لك، وأنا الَّذِي عملت لك، وأنا الَّذِي فعلت لك، هذا جزائي! هذا كذا! إلى آخره، أيًا كانت نوع العلاقة أخ وأخيه، أو صديق وصديقه، زوج وزوجته، أب وابنه، إذا جعلت تعاملك معه شخصياً؛ سوف تتعرض لأنواع من الخذلان.

لكن لو جعلت تعاملك مع الله فيهم، فأتقي الله في زوجتي، مهما بدر منها، أنا الحمد لله؛ لأنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا يخذل مَنْ تعامل معه، سيعوضني وسيعطيني، لو تعاملت مع صديقك واتقيت الله، أدت حقوق الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فيه، وامثلت لأمر الله فيه، مهما صدر منه فأنت ماذا؟ مرتاح؛ لأنك أنت تعاملك مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وليس مع هذا الإنسان.

✍️ لذلك هذا الأمر لازم نوطن عليه أنفسنا، فيأتيك واحد محب ويشني، تشكر منه وجزاك الله خير فقط، لا تجعل هذا الأمر يزحف إلى دواخل قلبك، وبالتالي يصيبك بشيء من الركون إلى هذا الكلام، هذا الركون ممكن يؤثر عليك فيما بعد، أن تكون مقاصدك له.

ما الأسئلة التي تسألها لنفسك قبل أن تسوي هذا الشيء؟ ماذا سيقولون الناس؟
يرضيهم، يزعجهم، يبسخطهم، ولا يرضي الله فقط، هذا السؤال مهم.

أنت عندك سؤالين، المفروض سؤالين فقط:

☀ **الأول:** ما هو قصدي لله أم ليس لله؟ وهو إصلاح النية ومجاهدة النفس في إصلاحها.

☀ **السؤال الثاني:** هذا الفعل صواب ولا خطأ شرعاً؟ هل هذا مأموراً به؟ هل هذا خير؟ موافق للكتاب، موافق للسنة ولا لا؟ ونقطة انتهى.

عاد بقية الناس عجبهم، ما عجبهم، طز، المفروض يعني، هذا المفروض، وإلا معناه في مشكلة، معناه أنت في خلل في مقاصدك، التوحيد هو أفراد القصد لله وإفراد العمل لله، مَنْ ينظر في عمله إلى الناس ماذا سيقولون، ما أفرد القصد لله، وهذا من مداخل الشيطان على الإنسان، ومن الشرك الخفي الذي يدخل على الإنسان.

بل بعض الناس ربما قال كلامًا فقط لكي تأخذ الناس انطباعًا معين، أين رب العالمين في الموضوع؟ أين إرادة رب العالمين؟ هذا الأمر يجب أن نتنبه له في أنفسنا أن نُجاهد أنفسنا فيه، أنت ماذا تريد بالعمل؟ أيًا كان هذا العمل بدءًا من كلمة تقولها إلى مشروع دعوي تفعله، إلى نصيحة تقولها، إلى أي فعل.

﴿هل أنا قصدي وجه الله؟ وهل هو صواب أم لا؟﴾ إذا كان في شيء ثالث معناه في مشكلة، أنت جاهد نفسك في هذا الأمر؛ لأنّ بعض الناس يقع أسيرًا لغير الله، وهو ما يدري مسكين، يصير مثل الأسير يدري أنه صح، ويدري أنه ما عليه شيء، لكن يخاف من الناس ولا يخاف من الله، أو يرجو الله ولا يرجو الله، وهذه مشكلة كبيرة، هذا القسم الأول.

✽ القسم الثاني من الآثار التي تفعلها في عملك الصالح: الناقلين الناقلين،

وهؤلاء على قسمين:

✽ قسم: ناصح ومحب، وأنت في النهاية لست معصومًا، وأنت في النهاية تريد

الخير.

فالواجب على مَنْ رآكَ في خطأ أَنْ ينصحك، وأن يوجهك، وأن يبين لك، فهو لاء
تشكرهم وتضعهم على رأسك؛ لأنهم أهدوا لك عيوبك، ووضحوا لك أشياء،
طبعًا بغض النظر عاد ممكن يكون هذا الأمر وجهة نظر وليست خطأ وصواب،
وممكن تكون خطأ وصواب، ولكن الطرف الآخر غير واضح بالنسبة له، أيًا كان
إذا جاءك الناصح فاحمد الله أن يسّر الله لك ناصحًا يوجهك، ويريك ملاحظتك
وأخطائك.

وهذا أمر عظيم، وخير، فلا بد أن توطن نفسك على مراعاته وعلى قبوله وعلى
الفرح به، فالذي لا يريد أن يسمع إلا الثناء، هذا أيضًا في نيته شك، أنت ماذا
تريد بالضبط؟ تريد فقط الناس تمدح، هذا هم غلط بعد؛ لأنك تريد وجه الله -
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- المفروض تشكر مَنْ ينصحك، فتشكره أول شيء وتستفيد مما
قال.

إذا كان عندك وجهة نظر أو رد أو توضيح فلست ملزمًا طبعًا بالأخذ به، لكن
تشكره وتثني عليه وتفكر في الموضوع.

✽ **أما القسم الثاني:** الذي هو ليس ناصحًا وإنما هو مجرد ناقدٍ، أو مجرد ناقدٍ، أو أيًا كان، فهو لاء لا تلقي لهم بالألا، وأعرض عنهم تمام الإعراض، وادع لهم ولنفسك بالهداية والتوفيق، ولا تظلم نفسك في أن تقحمها فيما يرضيها، ما الذي يريدونها؟

هو ما جاء في سنن ابن ماجه وفي سنن الترمذي عن أبي أمامة الباهلي - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدَى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ**».

تبي تدش في جدل، أنت أوقعت نفسك في الخلل، أوقعت نفسك في الضلال، ومعروف الكرخي - رحمه الله - قال: (إذا أراد الله بقوم خيرًا فتح لهم باب العمل، وأغلق عنهم باب الجدل، وإذا أراد الله بقوم شرًا أغلق عليهم باب العمل، وفتح لهم باب الجدل).

معروف الكرخي هذا مَنْ هو، معروف الكرخي هذا الَّذِي قال عنه الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: (وما العلمُ إلا ما وصل إليه معروف)، معروف الكرخي ذُكِرَ عند الإمام أحمد فقال أحد الحاضرين: كان قصير العلم؛ أي: ما كان عالم أو مُحَدِّث كبير، ومعروف طبعًا معروف أنه عابد وناسك، وكان لا يفتر عن ذكر الله، وكان الأئمة يحبونه.

سفيان بن عيينة يثني عليه، الإمام أحمد بن حنبل يثني عليه، فقال الإمام أحمد: (أمسك - أسكت - وهل العلمُ إلا ما بلغ إليه معروف أو بلغه معروف! وهل العلمُ إلا ما وصل إليه معروف!) أي: من العبادة.

الحسن البصري - رحمه الله - وهو إمام من أئمة التابعين، المعروف توفي سنة مئتين، الحسن البصري توفي سنة مئة وعشرة، جلس مرة في أسطوانة في المسجد في البصرة في مسجد البصرة، فكان في حلقة علم شباب جالسين فسمعهم يتجادلون، وجدل وهذا يرد على هذا، وهذا يرد على هذا، فنفض ثوبه وقام، وقال: هؤلاء ثقل عليهم العمل، وخف عليهم القول.

انظر الكلام ما أدقه! قال: هؤلاء ثقل عليهم العمل، أريد أذهب أصلي، أريد أذهب أتعبد الله، أذهب أصوم، أذهب أذكر الله؛ ثقيل، ماذا أفعل؟ أتجادل، وأرد على هذا، وهذا يرد على هذا، شغل نوادي رياضية، شغل فريق وشغل أحزاب وشغل هيشات الأسواق، وهذا يصف معه ناس وهذا يصفون معه ناس، ورد على هذا ورد على رد الرد ورد رد الرد، وتروح تسالفه تضيع الأعمار، تضيع الأوقات، تضيع الحسنات، غش لشباب الأمة في تضيع أوقاتهم في غير ما يرضي الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

قل ما لا نهاية من الآفات، لكن الموقف الصحيح مَنْ يريد ربه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وجه الله والدار الآخرة أن ما يدخل في هذه الهيشات، ولا في هذه الجدالات، إن جاءت النصيحة من ناصح أو حتى لو غير ناصح يتأملها ويستفيد منها، إن كان هناك خطأ يصححه، والباقي يلقيه وراء ظهره.

وقد أثنى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - في كتابه الكريم في غير ما آية على عباد الرحمن، قال ربنا سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]؛ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]؛ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

كل هذه ثناءات على الَّذِينَ لَا يَأْبَهُونَ بِهَذِهِ الْجِدَالَاتِ وَهَذِهِ الْمَنَاكِفَاتِ، ثُمَّ إِنَّ مَنْ يَعِيشُ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَلِدِينِ رَبِّهِ - عِزٌّ وَجَلٌّ -؛ الْمَفْرُوضِ مَا يَنْتَصِرُ لِنَفْسِهِ، وَهَكَذَا كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، رَسُولَنَا - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ - كَانَ لَوْ تَلَا حُظُونَ فِي كُلِّ سِيرَتِهِ كُلِّ الْمَوَاقِفِ الَّتِي فِيهَا أَذَى شَخْصِي مَا يَتَفَاعَلُ مَعَهَا أَبَدًا، انظروا الأذى الشخصي!

خذوا مثلاً الأعرابي الَّذِي جذبَه من بُردِه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وأثر في حاشية عنقه، وقال: يا محمد، أعطني من مال الله الَّذِي عندك، كلام ممكن فعل واحد أو شيء واحد من هذه الأشياء يخرجُه عن طوره، فما بالك إذا اجتمعت! ماذا كانت ردة فعل النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؟ ولا كلمة زيادة، ولا كلمة! ابتسم وأمر له بعتاء فقط.

اليهودي الَّذِي أراد أن يختبر النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لما استدان منه النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وجاء قبل موعد السداد وقال: رد يا آل عبد المطلب، إنكم قومٌ مظل، أي: سبَّ أهله كلهم، أقضني ديني، وعمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- سحب السيف بيقص رأسه، فقال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: **«إني وإياه يا عمر أحوج إلى غير هذا منك، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن الاقتضاء»**، فأسلم اليهودي قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمد رسول الله.

والَّذِي سحب السيف تحت الشجرة.

✍ كل هذه المواقف ما الخيط الجامع فيما بينها؟ أن الأذى شخصي، أن الحق لا

يعدو النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -، ماذا كانت ردة فعل النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

وَالسَّلَامُ -؟ الحِلْمُ التام، والإعراض التام، والسكوت التام، ولكن في أدنى

انتهاك لشيء من الدين ماذا تكون ردة فعل النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -؟

الانتفاض وصعود المنبر، «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ ما بال أقوام يفعلون

كذا وكذا؟».

ما كان يسكت، هكذا رسولنا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان لا يعيش لذاته، لا

يعيش لاسمه، لا يحمي مكانته فقط، كان يعيش لله، نفس لما قُبِلَ من أهل الطائف

بما قُبِلَ به من إغراء السفهاء وكذا، كان أتته فرصة هذه الفرصة من الله ما فيها

اعتداء، الله الَّذِي أَرْسَلَ الْمَلِكَ فَقَطْ بِأَمْرٍ مِنْكَ يَطْبِقُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ؛ انتصار

لنفس، ما انتصر لنفسه - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

فصار من هديه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عدم الانتصار للنفس، هذا ما يجب أن يكون عليه طالب العلم، وَمَنْ يريد الله والدار الآخرة، الَّذِي يتكلم اتركه يتكلم، اتركه يتكلم كما يريد، خذ ما صفا واستفد حتى من عدوك أو من خصمك أو من مبغضك أو من محبك، من أيّا كان مثلما استفاد أبو هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- من الشيطان لما جاءه.

﴿فقال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**صدقك وهو كذوب**»، وما عدا ذلك من الأمور الشخصية ارمها وراء ظهرك، وإياك أن يُلبس عليك إبليس، ويُلبس الهيشات الشخصية لباساً شرعياً، ويقول لك: هذا أمر معروف، هذا نهي عن منكر، هذا انتصار للدين، لكن في الحقيقة هو انتصار للنفس.

👉 **بدليل**: أن هذا الفعل أو هذا القول الَّذِي ثرت لأجله قام به عدد من الناس ساكت عنهم، لكن شخص معين هو الَّذِي تنكر عليه وتارك مجموعة أخرى، أو منكر معين وتارك منكر آخر.

* **فإذا** هذا فيما يتعلق في العمل الظاهر بين أثره.

﴿ **أَمَّا الْعَمَلُ الْبَاطِنُ:** فهذا الَّذِي يجب أن نُركِز عليه، وأن نكثر منه، وأن يكون كل واحد فينا بينه وبين ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ما يستطيع وما يتيسر من العمل الصالح، لماذا؟

◆ **لأمور:**

✽ **أولاً:** الخبيئة الصالحة بينك وبين الله علامة ومقياس على صدقك، أنت صادق ولا لا؟ كيف تعرف أنت صادق ولا لا؟ تشوف نفسك في الخلوة، تشوف نفسك فيما بينك وبين الله، هذا مقياسك، تنشط ولا ما تنشط، كيفك فيما بينك وبين الله؟ كيف حالك لا صرت لحالك، وهذا صحيح، فهو مقياس.

✽ **ثانياً:** هو مدد إيماني يمدك في سيرك إلى الله؛ لذلك الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قال في سورة المزمل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا** ﴾ [المزمل: ١-٤]، لماذا؟ ﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** ﴾ [المزمل: ٥].

كأن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يريد من نبيه محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أن يكون له أرضية جاهزة مهيئة، في صلتك مع الله حتى تكون مستعد ترى القرآن هذا ثقيل.

﴿ ما وجه الثقل في القرآن؟ كيف يعني ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ لماذا القرآن ثقيل؟ هل هو ثقيل أم ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧]، أم هو يسيرٌ من جهة و ثقيل من جهة؟

هو يسير في تعلمه، وفي حسن صياغته، وفي ألفاظه، وفي سهولة حفظه، لكنه ثقيل للتبعات التي عليه، نحن مسؤولون أمام القرآن، لم ينزل القرآن لنعلقه في البيوت للزينة، أو لنترنم به فقط! لا، نحن أمام مسؤوليات ندعو لكلام ربنا وسنة نبيه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ندافع، نتحمل، نضحى، نعمل، في تكاليف، هذا وجه الثقل أنه ليس شيء سهل أنك تقول والله أنا مسلم، وأنا حامل للقرآن.

حامل للقرآن هل أديت حقوقه؟ هل دافعت عنه؟ هل انتصرت له؟ هل قمت بحقه؟ هذا هو وجه الثقل؛ لكي تستطيع أن تقوم بهذه الأشياء ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ فكأن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يريد من نبيه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أن يكون متهيئاً لهذه المهمة.

﴿ثَالِثًا: العلاقة الخاصة فيما بينك وبين الله، أو الخبيئة الصالح فيما بينك وبين الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- تجعل تصحح علاقاتك، فتجعلها مع الله، فتتهاوى كل ارتباطاتك بالناس، سواء التأثر بالثناء أو التأثر بالقدح.

كلما زدت في علاقتك مع الله فيما بينك وبين الله، كلما صرت مُحَصِّنًا من التأثر بالمدح والتأثر بالقدح، فصار لو قدح فيك القادحون أو مدحك المادحون أنت مرتبط بشيء أعلى، شيء أسمى، فهذه كلها أمور تصيب ثانوية عادية يعني، ما تتأثر فيها كثيراً، لكن لما ينزل مستوى علاقتك وتصير علاقتك مع الناس بشكل مباشر وليس مع الله؛ هنا يؤثر فيك المدح، ويؤثر فيك القدح.

فمن كثرة ذكره لله ما يفتر لسانه عن ذكر الله، فبيقص شواربه قال له: وقف، قال له: أنا أعمل وأنت تعمل، ما لك علاقة بي معنى الكلام.

﴿كثرة ذكر الله - معشر الكرام - أمان من النفاق، لماذا؟ لأن الله - سبحانه وتعالى - وصف المنافقين بأنهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، فالذي لا يذكر الله إلا قليلاً هذا معناه يخاف على نفسه المفروض، والذي يذكر الله كثيراً أخذ شيئاً من الأمان عن أن يكون منافقاً؛ كما أن من الأمان من النفاق أن تنهض للصلاة؛ لأن المنافقين ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

أكثر من ذكر الله، علينا أن نكثر جميعاً - يا إخواني - من ذكر الله، لماذا؟ ذكر الله من اسمه ذكر يبقى ربك - سبحانه وتعالى - حياً في قلبك، ذكر الله حياً في قلبك، هذا المقصود من الذكر أن يبقى ذكر ربك - سبحانه وتعالى - حياً في قلبك، مشكلة الإنسان في النسيان إذا نسي تساهل في حق الله فعصى الله، لكن إذا بقي ذكر الله حياً في قلبه ما راح يعصي ربه سبحانه.

فمهمة الذكر هو هذا أن يبقى قلبك حيًّا مليئًا بذكر الله؛ وبالتالي تكون على مستوى عالٍ من الإيمان بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فنسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يجعلنا وإياكم من الذاكرين، وأن يجعلنا من الشاكرين، وأن يتقبل منا ومنكم، وأن يخلص لنا ولكم النية، والقول والعمل، هذا والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وجزاكم الله خيرًا.